

## تأملات في تضاريس الواقع الاجتماعي

"انظروا إلى الطبيعة و اتبعوا الطريق  
الذي رسمته لكم، فالطبيعة أرادت أن يكون  
الأطفال أطفالا قبل أن يصبحوا رجالا، إذا أردنا  
أن ننحرف عن هذا القانون، سنحصل على ثمار  
مبكرة و لكنها غير ناضجة و لا نكهة فيها...  
اتركوا الطبيعة تعمل عملها قبل أن  
تتدخلوا في مكانها، خشية معاكستها، انه من  
الأفضل أن لا نعمل شيئا بدل عمل شيء  
سيء".

جان جاك روسو

إنها التربية السلبية التي دعا إليها روسو،  
والتي بموجبها نصح المربين باحترام سن  
الأطفال، لأن لكل سن محركاته، فمن الغريب أن  
يقضي الأطفال يومهم كاملا في مسائل نظرية  
قابعين بأقسامهم بدل الحركة و النشاط، و لعل  
هذا هو أهم نقد يمكن أن نوجهه لبرامجنا  
التعليمية و أساليب تدريسنا التي تحكمها  
انشغالات نظرية منطقية عقلية عوض أن تكون  
انشغالات نفسية (1).

إننا كمن يذهب في فصل الربيع ليهز بعنف  
شجرة التفاح لعله يحصل على ثمار ساعتها  
ستسقط الأزهار التي كانت ستصبح ثمارا، وفي  
فصل الثمار لن تكون هناك ثمار.

أ.د سليمان بومدين

كبرياء المجتمع  
النرجسي

إن ما حذر منه روسو منذ زمن بعيد، يحدث اليوم في الأنظمة التربوية الأكثر تطورا في العالم، كما تحدث في الجزائر من حيث لا ندري أحيانا. و سنضرب لذلك ثلاثة أمثلة نموذجية من الولايات المتحدة و اليابان و الجزائر و أخيرا نتناول مثلا معاكسا من إحدى قبائل الهنود الحمر.

### أولا: النموذج الأمريكي: الحب القاتل

و هل يقتل الحب؟

نعم إذا كان حبا مزورا عن غرور الآباء و الأمهات أو مستفراغا من نرجسيتهم و تضورهم من حمل مسؤولية من ينجبون .

ما بين 1981 و 1984 شهدت الولايات المتحدة الأمريكية ظهور كتابين كان لهما وقع محير على الآباء و الأمهات و المربين، الكتاب الأول كان اسمه The hurried Child Growing up : too fast too soon أو "الطفل المعجل عن نفسه"، أما الكتاب الثاني فكان عنوانه: All growin up and no place to go teenager in crisis أو النضج السريع و الضيعة الاجتماعية".

كلا الكتابين كانا من مؤلف واحد هو David Elkind أستاذ علم النفس الطفل في جامعة تافت Tufts في مدينة ماساشوستس، و كلا الكتابين قد قدر لهما أن يكونا من الكتب الأوسع رواجاً في الولايات المتحدة، و كلا الكتابين كانا حصيلة دراسات ميدانية مطولة بدأها المؤلف عام 1965 و فرغ منها عام 1980.

بدأ المؤلف عمله العلمي الكبير من ملاحظة أن أكثرية الأطفال الذين يراجعون عيادات العلاج النفسي كانوا ينحدرون من عوائل الطبقات الوسطى و الطبقات الأعلى منها، و لاحظ أن السبب الغالب في إشكالات هؤلاء الطلبة أنهم كانوا يتعرضون لضغوط شديدة من قبل أولياء أمورهم للتفوق على الآخرين و اختصار مراحل التعليم و التخرج بدرجات عالية للدخول إلى الكليات العلمية التي تتطلب شروطا معرفية و كفاءات عقلية عالية، لا لأنهم يريدون ذلك و يحبونه بل أنهم يجب أن يفعلوه إرضاء لكبرياء الآباء و الأمهات و تطلعاتهم الاجتماعية، و بحكم الطبيعة الطبقيّة التنافسية للمجتمع الأمريكي فإن الطفل يعرض لغسيل دماغ قاس بضرورة مسابقة الآخرين و التفوق عليهم، و نتيجة لهذه الضغوطات الشديدة ينهار كثير من الأطفال تحت وطأة المعاناة العاطفية و ساعات الدرس الطوال، و يسقطون فرائس سهلة للخوف و الإرهاق و العصابية، الأمر الذي ينتهي بهم آخر الأمر إلى التبدل العاطفي و الحسي و إلى الوسوسة التي تحل محل الفرح الطبيعي بالحياة و الابتهاج كليا أو جزئيا بالدراسة و التعلم.

أن يكون التفوق في الدراسة تحقيقا لطموحات الآخرين -الأبوين- يكون مدمرا في حالاته القصوى.

ديفيد ايلكند يروي مأساة الطفل ويليام جيمس سيديز، كان سيديز ابن طبيب نفساني من نيويورك و قد ولد في مطلع هذا القرن و أصبح نجما اجتماعيا للطفولة اللامعة بحكم تأثيرات البيئة العائلية و قد قبل في جامعة هارفرد في الحادية عشرة من عمره.

كانت أوراقه الامتحانية في الرياضيات تشير إلى انه سيصبح أحد كبار المبتكرين في هذا العلم، لقد جذب نبوغه الصحافة و الإعلام و سلطت عليه الأضواء و جعلته موضع حسد كل الآباء و الأمهات في الولايات المتحدة.

غير أنه سرعان ما انطفأ و تقهقر علميا و ظل ينتقل من عمل إلى آخر دون أن يكون له هدف في الحياة، و كان آخر ما سمع عنه في سنة 1930 عندما كتب جيمس ثيربر James Turber مقالة في مجلة نيويورك و قد وجده يعاني الوحدة و يحيا حياة تستدر الشفقة و الرثاء و كان انشغاله الوحيد هو جمع تذاكر التراموايات العاملة في المدن الأمريكية الكبرى.

هذا أول أنواع الحب القاتل التي كشفت عنه دراسات ايلكند، أما النوع الآخر فقد وجده ينجم عن حب الآباء و الأمهات لأنفسهم و تعجلهم الخلاص من مسؤوليات تنشئة أطفالهم، و هم يفعلون ذلك بطرق غامضة و ملتوية من أبرزها الإيحاء للأولاد و البنات بأنهم قد كبروا و أنهم يجب أن يتحملوا مسؤولية أنفسهم و أنهم -الآباء و الأمهات- لا يستطيعوا أن يفعلوا لأبنائهم أكثر مما فعلوه.

يروى ايلكند أن إحدى الأمهات شككت إليه من أن ابنها "14 سنة" يسهر طويلا ليشاهد الأفلام المحرمة على الأطفال في التلفزيون أو في الفيديو، اقترح عليها ايلكند أن تمنع ابنها من مشاهدة هذه الأفلام إن كانت حقا لا تريده أن يفعل ذلك فتحججت بأنه يفعل ذلك بعد أن تخلد هي إلى النوم، يقول ايلكند، لقد كان واضحا أنها تتظاهر بالعجز عن مراقبة ابنها لتعفي نفسها من تلك المسؤولية متعللة بان ابنها قد أصاب من الرشد ما يمكنه من التمييز بين الطيب و الخبيث، إن هذا - في تقدير ايلكند- هو الرشد الكاذب و هو من تهيؤات الكبار الذين لا يريدون الإقرار بأن المراهقين في مرحلة انتقالية متقلبة و هم يحتاجون إرشاد الكبار و توجيههم بل وسلطتهم. إن الراشدين يحبون أن يفترضوا أن المراهق راشد ، و انه لهذا يجب أن يتحمل مسؤولية نفسه، و سواء كان هذا التوهم للرشد المبكر للمراهقين ناجما عن عجز الآباء و الأمهات عن قيادة أولادهم أم كان نتيجة حالة نرجسية ينصرف فيها الآباء و الأمهات عن رعاية أطفالهم الرعاية اللازمة، فان المحصلة النهائية واحدة، إن المراهق لا مكان له في المجتمع، لا مكان له في أفكار الآخرين، انه المنبوذ الجديد في المجتمع، و إلى هذا النبذ و هذا التنصل، يعزو ايلكند أزمات المراهقين و انحرافاتهم التي كشفت عنها دراساته خلال خمس عشرة سنة، المخدرات هي القاتل الأكبر من المراهقين الأمريكيين و هي تقتل ما لا يقل عن عشرة آلاف شاب و شابة سنويا كما أن 1.3 مليون مراهق أمريكي بين 12-17 سنة، يعانون سنويا من مشاكل كحولية حادة، و في سنة 1981 وحدها وقع أكثر من ثلاثة ملايين شاب و شابة في إشكالات قانونية بسبب الكحول وفقا لإحصاءات وزارة الصحة و التربية و الشؤون الاجتماعية الأمريكية، كذلك سجل ايلكند ارتفاعا مخيفا في نسبة الانتحار بين المراهقين الأمريكيين، حوالي خمسة آلاف مراهق و مراهقة ينتحرون سنويا، و إزاء كل حالة انتحار متحققة هناك (50-100) محاولة انتحار فاشلة، كذلك لاحظ ايلكند تفنن المراهقين في طرائق الانتحار فقد وجد أن الفتيات كن في البداية يلجأن إلى

الحيوب المنومة أو إلى فصد أوردتهن أو شرايينهن و النزف حتى الموت، غير أنهن تحولن إلى أساليب أكثر عنفا في إزهاق أرواحهن، الشنق أو الرصاص، كذلك سجل ايلكند خلال فترة دراسته ارتفاعا متعاطما في نسب جرائم الأحداث، ففي عام مدرسي واحد مثلا سجلت المدارس الثانوية 2.4 مليون حادثة اختلاس و 100 الف حادثة سلب، و في سنة 1980 بلغت جرائم الأحداث دون العاشرة من العمر 55000 خمسة و خمسين ألف جريمة، يقول ايلكند لو أضفنا إلى هذه الأرقام المخيفة حقيقة إحصائية أخرى و هي أنه في كل عام يهرب أكثر من مليون طفل من عوائلهم وأن هؤلاء الهاربين الصغار غالبا ما ينتهون إلى الاستغلال في البغاء أو الدعارة<sup>(2)</sup>.

يعزو ايلكند سقوط هذه الضحايا من المراهقين إلى التحولات في القيم العائلية الأمريكية كما يعزوها غيره من علماء النفس الاجتماعيين مثل كريستوفر لانش في كتابه "ثقافة المجتمع النرجسي" إلى ازدياد الأناية بين الآباء و الأمهات و تعاضم إحساسهم بأن الأطفال أعباء ثقيلة يجب التحرر منهم سريعا.

### ثانيا: النموذج الياباني:

من أهم مميزات المدرسة اليابانية أنها انتقائية إلى أبعد الحدود، فالمدرسة أشبه ما تكون بنظام الجندية العسكري ، و لا يستطيع كل الطلاب اليابانيون الوصول إلى نهاية المطاف في خضم نظام تسابقي محموم ، و يحول البعض منهم إلى التخصصات المهنية .و تتخلل المراحل المدرسية اليابانية ، امتحانات غاية في الصعوبة ، حيث يقيم الطالب وفق نقطة إجمالية هي 100 توضع بناء على عدة معايير .

و يبني النظام التربوي الياباني على فكرة المنافسة ، بل يمكن القول أن هذا الفكر يهيمن عليه تماما ، فالطلبة يتصارعون من أجل المراتب الأولى ، و بعد كل امتحان تعلن النتائج مرتبة تبعا للنقاط المحصل عليها ، من الأحسن إلى الأسوأ .و الشهادة التي يحصل عليها الطالب في نهاية الدراسة الثانوية ، هي التي يتوجه بموجبها للدخول إلى الجامعة فهي التي تحدد له المادة، و المستوى و نمط الجامعة،إنها مسابقة مقنعة<sup>(3)</sup>

تبدأ السنة الدراسية في اليابان في شهر أفريل ، و هو أمر يبدو غريبا في نصف الكرة الأرضية الشمالي ، فالعطل في هذا النظام قليلة أن لم نقل نادرة فهي لا تتجاوز في مجموعها شهرين في السنة و لحسن الحظ أنه توجد أيام عطل و بعض الأنشطة الخارجية.

تطلق الدروس في اليابان على الساعة 08.30 صباحا و تنتهي على الساعة 15.30 بعد الظهر، و هو ما يبدو أيضا لأول وهلة مقبول، و لكن الحقيقة الخافية هي أن التلاميذ لا يكتفون بالنظام الرسمي، فالتلاميذ يسكنهم قلق شديد و رغبة جامحة في التفوق، إلى درجة أنهم يقضون كل ما بقي لهم من وقت في تلقي دروس إضافية، و عمليا فان الدراسة تبدأ مبكرا أي قبل ساعات الدوام الرسمية، و تنتهي متأخرة بعد الدوام الرسمي، و أكثر من ذلك فان كثيرا من أيام العطل و نهاية الأسبوع

تخصص لانجاز الواجبات المنزلية، بل هناك من يضحي بعطلته كاملة و أيام أعياد الميلاد.

إذن الوتيرة قوية جدا، فبالإضافة إلى العمل هناك المحاسبة على النتائج، و هو ما ينجر عنه تعب و إجهاد شديدين.

و فوق ذلك يرى البعض إن التلميذ الياباني لا يتمتع بأي حق سوى حقه في المجيء إلى المدرسة و الحصول على التربية المناسبة، حيث يطلب منه أن يلبس الزي الموحد، و تقليم أظفاره، و يمنع عنه لبس الحلبي و استعمال أدوات التجميل. لذلك يتفق كثير من المحللين أن المدرسة اليابانية تحقق أهدافها و لكن على حساب توازن التلاميذ<sup>(4)</sup>.

الأغلبية الساحقة من المتوسطات والثانويات و الجامعات تنتقي تلاميذها من خلال امتحان دخول، و لكل مدرسة امتحانها. و في الغالب فان امتحانات الدخول صعبة جدا، و يضطر التلاميذ إلى متابعة دروس في مدارس تعد لذلك تعرف باسم جوكو أو يوبيكو Juku ou Yobiko ، و ذلك نهاية كل أسبوع و بعد ساعات الدوام في المدارس العادية و يحدث أن تتابع لبعض التلاميذ دروسا في اليوكو قبل حتى الدخول إلى المدارس الابتدائية.

تشير الملاحظات من داخل المنظومة التربوية اليابانية، أن اللجوء إلى Juku من أجل تحسين وضع التلاميذ الذين لا يحصلون بالشكل الكافي أو الذين لديهم تحصيلًا بطيئًا إلى بروز مظاهر غريبة عند التلاميذ اليابانيين أهمها العنف و الاعتداء على ممتلكات المدارس، أما البقية فيغلب عليها طابع السلبية و الانطواء على الذات.

إن الاحترام الصارم لتوجيهات المعلمين و الإدارة التربوية و كذلك أوامر الأولياء لا ينمي مطلقا الشعور بالمسؤولية و تأكيد الشخصية و النمو الذاتي، و في الحالات القصوى يؤدي الأمر إلى الفشل الدراسي و إلى فوبيا المدرسة و الناجمة عن ترسبات الأوامر الكثيرة.

و لقد تنبته السلطات التربوية اليابانية إلى هذه الظاهرة و قدمت إصلاحات أهمها اختصار عدد أيام الدراسة إلى 200 يوم في السنة، و نظرا لانخفاض مستوى التعليم الناجم عن الضغط قدم حل تخفيف البرامج بانتقاء المعارف الأساسية.

فالتعلم يجب أن يشجع على حرية التفكير، مع تكوين جديد لأعضاء هيئة التدريس على أساليب تعليم جديدة، أما في الجامعة فلقد بدأت الأصوات تتعالى بضرورة الاستماع إلى الأساتذة الأجانب و إجراء إصلاحات جوهرية، غير أن الأمر لم يزل يلقى أذانا غير صاغية و هذا بسبب طبيعة المجتمع التراتبية حيث يهيمن فكر الجماعة على الفرد و يشجع الامتثال و الانصياع.

إن ظهور المجتمع ما بعد الصناعة، و المنافسة مع دول آسيا و المحيط الهادئ قد بينت محدودية النظام التربوي الياباني، ففي الاختبارات العالمية التي أجريت في السنوات الأخيرة تبين أن المترشحين اليابانيين لم يكونوا من الأوائل في امتحانات التعبير الفردي المبني ، في حين تفوقوا في امتحانات المعارف و هنا يطرح انشغال

الإبداع عند الطفل الياباني الذي يجب أن يعتني به ، لأنه هو الضامن للمستقبل من خلال الابتكار و الإبداع و القادر على المنافسة العلمية التقنية العالمية.

### ثالثا: النموذج الجزائري

#### الترخيص في العمر و التمدريس :

أثارت انتباهي تلك الملاحظات الصائبة التي أثارها أحد المهتمين بالتربية في أسبوعية المدرسة والحياة l'école et la vie الناطقة بالفرنسية والتي تعكس بلا شك نفس النرجسية التي أشرت إليها في المجتمعين الأمريكي والياباني ولكن هذه المرة ينطبق الأمر على المجتمع الجزائري.

فقبل البدء في تعميم التعليم التحضيري تعودنا أن نرى في بداية كل سنة دراسية هيجانا بشريا ضخما، حيث يلاحظ عددا كبيرا من أولياء التلاميذ و هم يتسابقون إلى مختلف أجهزة التربية من مفتشيات و إدارات و مدارس الحي، و لكل هدف واحد هو تسجيل أبنائهم الذين لم يبلغوا سن التمدريس أي 6 سنوات ، و لهذا يجب أن يتحصل كل منهم على وثيقة تسمى **شهادة الترخيص في السن** التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الآلاف على مستوى ولاية واحدة. إن لهؤلاء الآباء وجهات نظر عديدة عند شرح أسباب خطوتهم هذه و ذلك حسب وسطهم الاجتماعي و الاقتصادي فمنهم من يقول:

- إن ابني له 5 سنوات أو أكثر و باستطاعته مواجهة حياة مدرسية بسنة زائدة يحتاجها في حالة الإعادة أو السقوط في امتحان (سنة سابعة/الأهلية أو البكالوريا...)
- إن ابن الجار الذي يقل عمره عن ابني قد سجل، لا أعلم كيف و هذا عمل غير عادل...الخ.

و لكن الجميع يجهل أنه ابتداء من سن السادسة و ليس قبل تبدأ الفترة الحقيقية من حياة الطفل التي تدعى الطفولة المدرسية التي تمتد حتى سن المراهقة، ففي هذه المرحلة يصبح الطفل قادرا بدنيا و ذهنيا على مواجهة هذه المغامرة الكبرى المتمثلة في الدخول المدرسي، وفي هذا السن أيضا تبدأ شخصيته في التبلور و تزداد رغبته في الاندماج في المجتمع.

إن ملاحظة الأطفال المسجلين حديثا في أول يوم من أيام التمدريس يبين لنا بصورة واضحة كيف يعيش هؤلاء الأطفال هذه المغامرة ، حيث يرافقهم في ذلك الأب، الأم أو الأخ الأكبر، وتدل تصرفاتهم على اضطرابهم العميق و قلقهم الأخرس و خوفهم الصامت، كل ردود الفعل هذه تنحصر في المستوى العاطفي و من الضروري محاولة فهم و تفسير ردود الفعل هذه من خلال عالمهم وفضائهم و ليس من خلال منطق الكبار الذي لا يعني لهم شيئا.

إن الاكتشاف المفاجئ لهذا العالم الغريب عن محيطهم العائلي و بالتحديد عن عالم الأمومة يولد عند الأطفال و خصوصا الذين تكون أعمارهم أقل من 6 سنوات شعورا بعدم الثقة و الأمان، و هذا الشعور نابع أساسا من كونهم أبعدا فجأة عن

محيط كانوا محاطين فيه بكل عوامل الأمان و لم يعرفوا غيره حتى الآن. هذا التمدد المفاجئ و السابق لأوانه هو في الحقيقة أقرب إلى القسوة والفضاضة، تدرس يولد لدى الأطفال شعورا بالضيق و إحساس بالقلق ناتج عن الشعور بعدم الثقة و الأمان. كما يعيش الأطفال هذا التمدد أيضا على أنه اختطاف قاس لهم من محيط عاطفي يتميز بعلاقة وطيدة مع الأم خاصة و مع العائلة عموما حيث يتمركز العالم حولهم (مرحلة التمركز حول الذات) و لصعوبة تبني هذا العالم و الاندماج فيه، و نتيجة لهذا الإحساس بالغربة تظهر و بقوة اضطرابات عاطفية شديدة في تصرفات الأطفال.

قد يصبح الاندماج و تبني هذا العالم إشكالا إذا أخذناه من زاوية أخرى، إذ أن الطفل البالغ من العمر 4 سنوات أو 5 أو حتى 5 سنوات و نصف ليس ناضجا فهو ليس قادرا بعد على مواجهة امتحان صعب و المتمثل في المدرسة ، إن الطفل سيجد نفسه وسط أطفال آخرين، ربما أكبر منه سنا و سيكون بعيدا عن عالمه الاعتيادي الذي ألفه إلى حد الآن، بعيدا عن حضن أمه، سيجد نفسه في عالم جديد قذف إليه قذفا ، عالم لم يحدد هو مقاييسه، و لم تصمم هذه المقاييس له، و أول ما يشد الطفل هو هذا العدد الهائل من الأطفال الذي يجب عليه مواجهتهم وفق قواعد اجتماعية صارمة، يجب احترامها و لا يمكن الاعتداء عليها، ثم هناك هذا الجو و هذا المحيط البارد إن لم نقل العدائي المختلف عن المحيط الذي ألفه و الذي كان هو مركز الاهتمام فيه و المتميز بالحنان و العطف و الثقة من جميع من يحيط به. هذه الحياة الجديدة و"العجيبة" المضبوطة وفق نظام لا يفهمه الطفل تحيره و تخيب ظنه، فهي حياة مملوءة بمفاهيم جديدة لم يكن ينتظرها و هي في أغلب الأحيان بليدة و ثقيلة بالنسبة له.

و هؤلاء الأطفال المحيطون به و الذين لا يعرفهم كثيرا يتمتعون كما هو بعدة صفات، فهم يريدون امتلاك كل شيء، إنهم أنانيون و غيرون، يخيفونه و قد يعيقونه في تكوين "الأنا I'ego" و نتيجة لإدماج التلاميذ الصغار في المدرسة يتكون لدينا في كل سنة تلاميذ مشوشين، ثائرين، غير قابلين للاندماج في المجموعة (المدرسة)، فهم في عزلة تامة و بالتالي يسقطون في الانعزال و الانكماش على النفس<sup>(5)</sup>.

#### الانعزال أو الانطواء على النفس:

إن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون الحسرة بانفصالهم عن أمهاتهم و عن محيطهم الآمن وكذلك عن عاداتهم، نجدهم في انطواء تام حيث يرفضون كل عمل جماعي و اجتماعي. و تحت تأثير صدمة الجانب العاطفي المسيطرة عليهم و الجحيم المتولد عنها نجدهم يعيشون في انعزال تام أو جزئي، و حتى إذا امتلكوا بعض الصفات الفردية لاكتساب علاقات مع المجموعة فهم يتظاهرون بالضعف و الفشل، و كل محاولاتهم تتمخض عنها أعمال عدوانية تزيد من تشاؤمهم و يسقطون أكثر في وحدتهم، و ما عليك إلا مشاهدتهم صباحا أثناء الدخول مجتمعين ومضطربين،

رافضين الدخول إلى المدرسة و متشبهين بأمهاتهم و آبائهم طالبين الأمان والحنان. أما في القسم، فإن هؤلاء التلاميذ يعيقون العمل المدرسي ، هذا العمل الذي يتطلب نموا عقليا و تركيزا و مجهودات عقلية متزايدة و هذا ما لا يمتلكونه دائما. إن صغارنا لم يبق أمامهم سوى أنهم:

• يتجنبون زملائهم ، يستمعون و يشاهدون الدروس أو يتحمسون نوعا ما حيث يحاولون الاتصال بالآخرين و لكن نظرا لعدم توفر الميكانيزم الاجتماعي و لجلب الانتباه ، يقومون في بعض الأحيان بأعمال غالبا ما تكون غير مرغوب فيها أو يتظاهرون بالقيام بأعمال شغب، إنهم منحازون عن كل اتصال لأن الانعزال في حياتهم هو درع واق لهم من المخاطر، و هكذا بمحاولة إدماجهم في الوسط المدرسي نصل إلى فصلهم عن كيانهم و طمس شخصيتهم .

و عليه فإنه لا يسعنا الا أن نقول لأولياء التلاميذ كونوا رحماء بأبنائكم، لا تضحوا بهم لإرضاء كبرياتكم، انتظروا حتى يصبحوا أقوياء، قادرين على مواجهة هذه العقبة التي هي الدخول المدرسي، فأغلب التلاميذ الذين يمسهم التأخر المدرسي هم أولئك التلاميذ الضالين الذين تدرسوا في سن 4 أو 5 سنوات، و من البديهي أنه لا يمكننا السير عكس الطبيعة لأنها على الأمد البعيد ستنتقم(6) .

#### رابعا: نموذج قبائل زوني و هوبي :

إذا كان الدفاع عن النفس و تعظيمها من الاساسيات كما ذكرنا من قبل، فيجب أن نتوقع من كل الناس في كل مكان أن يتنافسوا على كل ما يتعلق بالمكانة و الهيبة و أن يناضلوا من أجل تجنب أي فشل اجتماعي، فالحاجة إلى المكانة و الهيبة تعتبر المسؤولية الأولى عن التحرك الاجتماعي الملحوظ المميز للمجتمع الغربي، و يأخذ التعبير عن المكانة و الهيبة أشكالا متنوعة في المجتمعات المختلفة، ففي المجتمعات الغربية الرأسمالية تعتمد الهيبة و المكانة غالبا على عدد و قيمة الأشياء المادية المتراكمة عند الفرد ، و في بعض المجتمعات الأخرى تمنح المكانة و الهيبة للعالم الروحي المعدم الذي لا يملك شيئا ، و في نوع ثالث من المجتمعات تبدو الحاجة إلى المكانة و الهيبة في شكل متناقض من حرمان و إنكار الذات المتعمد أو المقصود . و تعتبر قبائل هوبي و زوني من الهنود الحمر في جنوب غرب أمريكا المثل الأعلى للشعوب التي لا تشعر بالحاجة إلى الهيبة و المكانة ، و لقد أشار علماء الأنثروبولوجيا أن أطفال هوبي كانوا دائما يرفضون الاشتراك في مسابقات الألعاب التي تسودها روح التنافس و حتى إذا ما فعلوا ذلك فإنهم كانوا حريصين على عدم هزيمة زملائهم ، و نتيجة للملاحظة الميدانية و التحليل الدقيق للبيانات المجمعدة فقد وجد أن طريقة تعبير هؤلاء الناس عن رغبتهم في الشهرة و المكانة و الهيبة تختلف عنها في المجتمعات الغربية ، و الرجل العظيم في نظرهم هو ذلك الإنسان الذي لا يسمع أي شخص آخر عنه أي شيء ، و من ثم يعمل كل إنسان على أن يكون مجهولا لكي يعتبر من الرجال العظماء. و يؤكد أش ASH أن الملاحظة لأبناء هوبي



تدل على أنهم يترددون في أن يتنافسوا مع بعضهم البعض في المسابقات الرياضية (7)

#### خلاصة:

ان ثقافة المجتمعات القائمة على التنافس و مسابقة الآخرين في المجالات الاقتصادية و الرياضية و التربوية و غيرها ، و التي كثيرا ما تجعل من الأطفال أحصنة سباق غير أبهة بقدرة و رغبة و وثيرة كل حالة تفضي في بعض جوانبها الى نتائج كارثية، انها البداية من النهاية حسب تعبير روسو الذي توقع مثل هذا الأمر منذ أكثر من قرن.

#### المراجع:

1-**Claparède edouard**: l'éducation fonctionnelle, Delachaux et niestlé, Neuchâtel, Suisse, 1973.P58.

2-**محمد جواد رضا**: السياسة الكويتية، يومية وطنية سياسية، جوان 1990.

3-([www.Piefrance.com/B14/articles/33\\_ecoles\\_Japan](http://www.Piefrance.com/B14/articles/33_ecoles_Japan)).

4-([www.Japononline.com/article/articles/33\\_ecoles\\_Japan](http://www.Japononline.com/article/articles/33_ecoles_Japan))

5-**L'éditorial** de "L'école et la vie", Hebdomadaire national sur l'éducation nationale, 1993.

6-**L'éditorial** de "L'école et la vie", Hebdomadaire national sur l'éducation nationale, 1993.

7-**كريتش وكريتشفيلد و بالاتشي**: (ترجمة) حامد عبد العزيز الفقي و سيد خير الله، سيكلوجية الفرد في المجتمع، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص 201.